

الذي حرم عليكم وجئتمكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون إن الله ربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم".

وبعد أن تكشف السورة لهؤلاء

الذين أسرفوا في شأن عيسى، شبهتهم التي ضلوا بها عن حقيقة التوحيد، وعن حقيقة الدين عند الله، تسلك معهم سبيلا آخر فتأمر الرسول محمداً (صلى الله عليه وسلم) بأن يتقدم اليهم في ثقة بنفسه واطمئنان إلى دعوته، فيدعوهم إلى المباحلة وهي أن يجتمعوا جميعاً مع محمد صلى الله عليه وجماعته في صعيد واحد، ويستمطر الكل لعنة الله على الكاذب من الفريقين، "فمن حاجك فيه من بعدما جائك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين" تزلزلت أقدامهم واضطربت أعصابهم وعلموا أنهم إذا قبلوا لدعوة إلى هذه المباحلة فهو الفناء للوالدوما ولد، وهو المحق الذي لا يبقى ولا يذر، فتولوا وانقطعوا عن الحجاج،

وهكذا كما تحدى القرآن المشركين أن يأتوا بمثله وهم أرباب اللسان والبيان، تحدى المسرفين في شأن عيسى بهذه المباحلة السهلة الهينة لو كانوا صادقين فلم يقدرُوا عليها، ثم تحدى التاريخ في كل ما قصه في شأن عيسى بقوله "إن هذا لهو القصص الحق وما من إليه إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم".

بعد هذا تتجه السورة إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) فتأمره أن يوجه إليهم جميعاً دعوة المنتصر في حقه، القوى في برهانه، الحريص على خير خصمه وسعادته، مناشداً إياهم بما يقربهم إليه، ويخفف من غطرستهم وغلواهم "قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون".

هذا هو مجمل ما عرضت له السورة من الحجاج الخاص بالشبه التي أثارها عند القوم ولادة عيسى وخوارقه، وقد كانت لهم فنون من الحيل، وألوان من الشبه، قصدوا بها على وجه عام إضلال المؤمنين، وفتنتهم عن دينهم، وقصدوا بها تبرير استمرارهم على العناد والمكابرة، ومنع من يريدون الإيمان من أتباعهم بمحمد ورسالته.

